﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(لعبادي الذين آمنوا)

بتاريخ [١٢ رمضان ١٤٣٧هـ]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (لعبادي الذين آمنوا)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. لا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. يعز ويذل، ويكرم ويهين، ويخفض ويرفع، ويضحك ويبكي، ويبتلي ويعافي، ويغني ويقني، خزائن كل شيء بيديه، ومنتهى الأمور كلها إليه كما قال: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢)﴾ [النجم: ٤٢]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيُها الإخوة، فلزامًا أن ننظر ماذا يريد الله منا وماذا يريد منا رسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى نمتثل ما أُمِرنا به وننتهي عما نُهينا عنه، وكل ذلك واضحٌ في كتاب ربنا وسنة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلا تمر بنا الأيام وتنقضي بنا الأعمار ولا ندري بما أمرنا الله ولا عما نهانا الله، فكان لزامًا أن ننظر ما الذي يريده ربنا منا، ما أوامره، ما نواهيه، حتى نغنم في آخرتنا ونسلم في دنيانا كذلك، وكما سلف فإن كل ذلك متأتٍ في كتاب الله وسنة رسوله.

ولقد قال الله تعالى للأبوين الكريمين حين أهبطهما من الجنة آدم وحواء -عَلَيْهِمُا السَّلَامُ-: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٣-

١٢٤]. فها هو كتاب الله بين أيدينا نتلوه، ونتدبره، وننظر أيضًا ما الذي أمرنا الله به وما الذي نهانا عنه، فهذا مبتغانا دائمًا وأبدًا أن ننظر إلى أمر الله نمتثل، ونعرف المناهي التي نهانا الله عنها فننتهي، بهذا نسلم -إِنْ شَاءَ الله- ونغنم -إِنْ شَاءَ الله-، وفي كل ذلك تلزمنا الاستعانة بالله على الطاعات، فلن نُعان على الطاعة إلا إذا أعاننا الله كما قال -تَعَالَى ذِكْرُهُ- مذكرًا ببعض الصالحين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾ [الأحقاف: ١٥].

فكان مما جاء في كتاب الله -سُبْحَانه-: ﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [إبراهيم: ٣١]. الله يأمر رسوله أن يقول لنا ﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾. قل يا رسول الله لعبادي أهل الإيمان ﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾. يحافظوا عليها، وعلى حدودها، وعلى أركانها، لا يفرطون فيها، ولا يتكاسلون عنها؛ فهي أهم الأعمال وأحب الأعمال بعد النطق بالشهادتين «أحبُ الأعمالِ الصَّلاةُ لوقتِها». ﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾. ومع إقامة الصلاة ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾. فدومًا تقترن الصلاة بالزكاة، تقترن الصلاة بالإنفاق، فالصلاة حق للرب علينا والزكاة حقٌ للخلق علينا، فكثيرًا ما نرى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فكما أننا نسعى لتزكية نفوسنا وتهذيبها نسعى أيضًا لنفع الخلق، نسعى لنفع الخلق؛ فللخلق حق ولله حق.

﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. دخلت فيه الصدقة الواجبة، الزكاة الواجبة، وصدقة النفل أيضًا ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾. وهذا شهر الصلاة، شهر القيام، وشهر البذل والعطاء، والإنفاق كذلك، فرسولنا كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة، قال فريق من أهل العلم: التي تعم بنفعها الخلق كلهم مسلمهم وكافرهم، فالريح المرسلة تنفع الخلق،

تنفع البهائم، تنفع المسلمين، تنفع الكفار، تعم بنفعها الخلق كلهم، فكونوا أجوادًا في هذا الشهر الكريم، كونوا من أهل البذل والإحسان والعطاء اقتداءً برسولكم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إذ الله قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأُذكر ثانية بقوله تعالى: ﴿قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾. فحافظوا عليها أيُها الإخوة، لا تؤخروها عن أوقاتها، ولا تهملوا أركانها وحدودها وواجباتها، أدوها كما أُمِرتم؛ فسعادة عظيمةٌ أن تقف بين يدي الله تناجيه، وفضل عظيم من الله عليك أن تسجد له وأن تُغبر جبهتك لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فضل عظيم من الله علينا أن نوفق لذلك؛ فلله الحمد على ذلك، ونسأله المزيد من فضله، لا تقف في صلاتك متململًا كارهًا بل قف سعيدًا بها مستريحًا بها تناجي فيها ربك تسأله ما تريد، إياك ثم إياك أن تتخلف عن الزكوات الواجبات؛ فإن الرسول قال: «مَن آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ صُفِّحَتْ له صَفائِحُ مِن نارٍ يَومَ القِيَامَةِ فيُكْوَى بها وجهُهُ وجَبِينُهُ في يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَنظرُ بعدَ ذلك مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». «مَن آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِلَ له شُجَاعًا أقْرَعَ». أي: صُور له ماله يوم القيامة في صورة شجاع أقرع، ثعبان متوحش عظيم «له زَبِيبَتَانِ ناتئتانِ حولَ رأسِه». من شدة السم الذي به «مُثِلَ له شُجَاعًا أقْرَعَ، يُطاردُه وهو يفرُ مِنْه، يقولُ له: أنا كَنْزُك، أنا مالُكَ، فيناولُه يدَه فيقضمُها كما يقضمُ الفحل، ثم يدخلُ فمَه ويُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفَاهُ، وَشِدْقَهُ الآخَرَ إلى قَفَاهُ، ويطوقُه». وتلا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وأتبعوا الفرض بالنفل تسعدوا وتدخلوا بذلك عداد المحسنين، وبذلك تستجلبوا محبة ربكم، فلا يزال العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه، فبعد أداء الفريضة التي

افترضها الله عليكم وكي تصلوا إلى عداد المحسنين أتبعوا الفرض بالنفل، واعلموا أن ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)﴾ [البقرة: ١٥٨]. فالحمد لله على عبادتنا لرب شاكر، الحمد لله إذ وفقنا لعبادته وهو الشاكر العليم؛ يشكر لنا صنائع المعروف التي نفعلها، فالحمد لله على عبادته، ونسأله المزيد من التوفيق لها، ونسأله -سُبْحَانه- أن يجعلنا دائمًا وأبدًا سامعين له، مطيعين له، منقادين لأمره، محبين له، ولشرعه، ولرسوله، ولأهل دينه، وأتباعه.

يُذكر ربنا بقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾. أي: صلوا وأنفقوا من قبل أن يأتي يومٌ لا بيع فيه، ولا تنفع صدقات، لا بيع فيه، لا تجارات فيه، ولا صدقات فيه، ثم يذكر الله بأن الفضل منه وحده لا شريك له وبأن النعم كلها منه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣)﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣]. فانظر إلى قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾ فكله لنا، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤]. من كل الاحتياجات أعطاكم الله ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. قدموا أيُها الإخوة شكرًا لله؛ حتى لا تدخلوا في أعداد الكنودين الكفورين لنعم الله.

ثم يُذكرنا الله -سُبْحَانه- بأبينا إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إمام التوحيد؛ حتى نأتسي به، حتى نقتدي به، فالأنبياء خير أسوة لنا، ليس أسوتنا ممثل، ولا لاعب كرة، ولا رئيس، ولا ملك، ولا وزير، أسوتنا رسل الله الكرام؛ هؤلاء أئمتنا، هؤلاء ساداتنا، هؤلاء قاداتنا وبذلك نفخر، ونعلن ذلك على رؤوس الأشهاد الله، ونسأل الله أن يُعيننا على التأسي بهم والاقتداء بهم، إذا كان لكل قوم هادٍ فهداتنا وأئمتنا وبهم نفخر هم رسل الله صفوة الخلق -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

يقول -تَعَالَى ذِكْرُهُ- في شأن خليله إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. فلا أمان إلا بتأمين الله -سُبْحَانه-، لن تأمن بلدة إلا إذا أمنها الله، ولن يأمن فرد إلا إذا أمنه الله ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾. وهي مكة ﴿آمِنًا﴾. ثم يخشى الخليل على نفسه وهو إمام التوحيد، يخشى أن يرتد وثنيًا، يخشى على نفسه أن يرتد كافرًا فيقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾. اصرف عني وعن ذريتي عبادة الأصنام، فالشخص لا يملك أمر نفسه، والهادي هو الله، الهادي هو الله علينا أن نتعلم ذلك؛ لأن قلوبنا التي في صدورنا لا نملكها، لا نملك قلوبنا التي في صدورنا، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فقلبي الذي في صدري أنا لا أملكه، يملكه الله -سُبْحَانه-، فيخشى الخليل على نفسه ويسأل ربه قائلًا: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

وأيضًا رسولنا يقول: «يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك، يا مُصَرِّفَ القُلوبِ، ثَبِّتْ قَلبي على طاعَتِكَ». ويقول: «أعُوذ بِعزَّتك أن تُضلَّني، أنت الحَيُّ الذي لا يموت، والجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ». فرسولنا يستعيذ بعزة الله كي يحفظه الله من الضلال وهو سيد ولد آدم، وأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ [آل عمران: ٨]. فلنسأل الله الثبات، لنسأل الله الثبات، فلا نملك من الأمر شيئًا، إن الخليل قال في نفس الفحوى ونفس المعنى وهو يناظر قومه: ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠]. أي: أنا لا أخاف من أصنامكم إلا إذا أراد لي الخوف منها فسأخاف منها ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾.

وشعيبٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يقول نفس مقولة: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩]. أي: في ملتكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا﴾. يقول في ثنايا حديثه: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا﴾. فاسألوا الله الثبات، الخليل يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥)

رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ [ابراهيم: ٣٥-٣٦]. أي: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾. صرفنا كثيرًا من الناس عن طريقك ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي﴾. يدعو له الخليل أن يُغفَر له ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. هكذا يدعو الخليل إبراهيم، حملها بعض العلماء على أنه يدعو له في الدنيا بالمغفرة والرحمة، أما إذا مات على الكفر شخص فمعلوم أن من مات على الكفر لا يُستغفَر له كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا﴾ [إبراهيم: ٣٦-٣٧]. إبراهيم يقول -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾. أسكنت بعض ذريتي وهو إسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾. قال فريقٌ من العلماء: قال الخليل ذلك لما ترك هاجر وإسماعيل عند الكعبة، تركها عند المكان الذي كانت الكعبة سترتفع فيه بلا طعامٍ ولا شراب إنما هي لقيمات تركها فنفدت وجرعات ماء تركها فنفدت، ترك الخليل هاجر وإسماعيل وانصرف، فنادته هاجر: «يا إبراهيم، أتتركنا في هذا المكان؟ حيث لا زرع ولا درع ولا ماء ولا بشر، فلم يرد عليها، وكررت النداء: يا إبراهيم، أتتركنا في هذا المكان لا زرع، ولا درع، ولا ماء، ولا بشر؟ ثلاث مرات ولم يجب، فقالت له: أالله أمرك بهذا؟ قال: نعم، أمرني الله به، قالت: إذن لن يضيعنا». فغاب عن عينيها وابتعد، ورفع يديه إلى السماء قائلًا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾. ثم دعا بالأنفع أولًا ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾. أول شيء دعا به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾. قال فريقٌ من أهل العلم وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)﴾ [طه: ١٣٢]. فلنصلي، ضمن الله له الرزق ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا

نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾. فلذا قدم إبراهيم إقامة الصلاة في دعوته كي يسلم أهله في الدنيا والآخرة.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾. وعلل الدعوة، ويُستحَب لنا تعليل الدعوة التي ندعو بها دومًا، قال: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾. لماذا؟ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. فتعليل الدعوة التي ندعو بها له أثرٌ في إجابتها -بِإِذْنِ اللهِ-، والناظر إلى كتاب الله يرى هذا متكررًا ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥-٦]. أي: يرث نبوتي وعلمي، ويرث علم آل يعقوب ونبوة آل يعقوب، ونحوه ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)﴾ [نوح: ٢٦]. لماذا؟ ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ [نوح: ٢٧].

فتعليل الدعوة مطلب، أنا أسأل الله الرزق، لماذا؟ كي أُعان به على إعفاف أهلي، على كفالة أيتام، على مساعدة فقراء، على مساعدة أبوين شيخين كبيرين، فعلل الدعوة التي تدعو بها، يا رب صحح لي بدني كي أشهد الجنائز، كي أمشي في طرق المعروف والخير، وهكذا دومًا علل الدعوة التي تدعو بها بعلة شرعية مقبولة؛ فهذا أحرى بالإجابة -إِنْ شَاءَ الله-.

قال الخليل: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. أي: كي يشكروك يا ربي، فالحمد لله على السراء والضراء، ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. ثم يقول الخليل مثنيًا على ربه أيضًا معظمًا له: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. تعلم ما تنطق به ألسنتنا وما تظهره جوارحنا من أعمال، وتعلم كذلك ما انطوت عليه قلوبنا وما حوته صدورنا، تعلم سرنا وعلانيتنا، تعلم ما نبديه وما نخفيه.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾. إقرار لله، فأنا يا رب لا أدعوك دعوة شخص متناقض قلبه لا يوافق لسانه بل أنت تعلم نواياي ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾. يثني على الله ثناءً حسنًا، لا يخفى عليك يا رب أي شيء في الأرض وأي شيء في السماء، فالوحوش الكواسر أنت تعلم أحوالها، والحيتان السوابح أنت تعلم أحوالها، والنسور الجوارح أنت تعلم أحوالها، ودبيب النمل أنت تعلمه، وحالي وما بي من همٍ أنت تعلمه، المسجون وأنت تعلم حاله يا رب، لا يخفى عليك حاله والكرب الذي هو فيه، من ينادي في الظلمات أنت تعلم حاله ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾.

ثم يتوجه بالحمد والشكر لربه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. كان أكثر حياته لا ينجب، خليل الرحمن بقي أكثر عمره لا ينجب ومع عدم الإنجاب يدعو دعاءً متواصلًا أن يُرزَق بالولد الصالح ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ [الصافات: ١٠٠]. أُجيبت الدعوة بعد عشرات السنين، قال بعض العلماء: بعد ما يربو على نصف قرن من الزمان أُجيبت الدعوة، ولم ييأس أبدًا من دعاء الله، كان يدعو قائلًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾. فرُزِق بالذرية على الكبر لقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾. هو بشر يحب الذرية ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

ثم يكرر الدعاء كي يثبت على الطاعة ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١]. هكذا يدعو الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، يدعو ربه أن يثبته على الصلاة وعلى الطاعات، ويشكر ربه على إجابة الدعوات ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾. فأنتم أيُها الإخوة مع أدعيتكم اسألوا الله أن يتقبلها، اسألوا الله أن يتقبل أدعيتكم، اسألوا الله أن يتقبل دعواتكم -بارك الله فيكم-، ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

لقد انقضى ثلث شهر رمضان أو ما زاد على الثلث، والسباق ما زال مستمرًا بين أهل الطاعات، من كان منكم أخفق في هذا الشهر فليستعن بالله وليجتهد فيما بقي من هذا الشهر الكريم، لقد انصرم ثلث شهر رمضان على وجه التقريب أو ما يزيد على ثلث هذا الشهر الكريم، وكما قال القائل:

تَمُـــــرُّ بِنَـــــا الْأَيَّـــــامُ تَتْـــــرَى وَإِنَّمَـا نُسَـاقُ إِلَـى الآجَـالِ وَالعَـيْنُ تَنْظُـرُ

فَلـيس بعَائِـدٍ ذَاكَ الشَّـبَابُ الَّـذِي مَضَـى وَلـيس بزَائـلٍ هَـذَا الْمَشِـيبُ المُكـدر

فغنم في هذه الأيام من غنم وأخفق من أخفق، ولكن والحمد لله ما دام في العمر بقية فالعتبى لها وجه والاستدراك له وجه، فمن كان مقصرًا في طاعات فليبادر بالطاعات، من كان قاطعًا للرحم فليبادر بالوصل، من كان عاقًا للأبوين فليبادر بالبر، من كان ظالمًا للناس آكلًا لأموالهم بالباطل فليرد إلى القوم حقوقهم حتى لا تُمنَع دعوته من الإجابة.

حتى لا تُمنَع الدعوة من الإجابة أدِ للناس حقوقهم، فقد تقوم لله داعيًا رافعًا يديك إلى الله يا رب يا رب، وأختك التي أنت أكلت ميراثها تقول: يا رب انتقم منه، يا رب لا تتقبل منه، فدعوتها كمظلومة تُقدَم على دعوتك وتصرع دعوتك، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وإياك وَدَعوةَ المظلومِ؛ فإنَّهُ ليسَ بينَه وبينَ اللهِ حجابٌ، يرفَعُها اللهُ فوقَ الغَمامِ، ويقول: بعِزَّتي لأنْصُرنَّكِ ولو بعدَ حينٍ». فإذا كنت ظالمًا فأدِ للناس حقوقهم، إذا كنت آكلًا ميراثًا، أو شاهدًا زورًا فاستغفر الله وأدِ للناس حقوقهم، واطلب العفو والصفح منهم؛ فإن الحقوق مؤداة يوم القيامة.

إخواني كما قال تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]. ما معنى ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾. إنها امرأةٌ طائشة مجنونة من نساء قريش -كما قال بعض العلماء-، طول اليوم تغزل، تأتي بالصوف تغزله وتجعله خيوطًا حتى تُصنَع منه الثياب، طول اليوم تغزل وطول الليل تنقض الذي غزلته، يعني في النهار تغزل وتُبرم الغزل وفي الليل تفك كل الغزل الذي غزلته، وهكذا شأنها دومًا، فذكر الله بهذه المرأة حتى نحذر طريقها، فلا تجمع خيرات ليلًا ونهارًا وتضيعها، تصوم لله نهارًا وتقوم له ليلًا، وبعد الليل تذهب إلى مسلسلاتٍ قبيحةٍ تغضب الله عليك، تذهب إلى مجالس السوء ومجالس لهو تغضب الله عليك، تضيع وقتك في النظر إلى مباريات تُذهب الحسنات وتورث الشحناء، فأنت إذا فعلت مثلك مثل امرأة مجنونة طائشة خرقاء العقل ضعيفة عندما تجمع الحسنات نهارًا وتُضيعها ليلًا، فلا تكن في هذا الشهر الكريم تاليًا لكتاب الله صائمًا مصليًا وبعد ذلك تضيع الحسنات إما بالمناظر القبيحة والمسلسلات القبيحة، وإما باغتياب الناس، والقيل والقال، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى، فكن عاقلًا، لا تكن مجنونًا ولا طائشًا، إنما كن حريصًا على أن تحافظ على حسناتك.

وما أعجب المقولة التي نُقِلت عن الحسن البصري -يرَحِمُهُ اللهُ- ولم أحرر سندها، لما أتاه آتٍ يقول: "اغتبتني وذكرتني بسوء يا حسن، قال: والله لم أكن طائشًا حتى تكون أنت نائمًا في بيتك وأنا أصدر لك حسنات، أصدر لك حسناتي وأنت نائم في بيتك، يعني كيف يكون ذلك؟ أنت تكون نائمًا وأنا أصلي وأغتابك وبعد أذهب بحسناتي أهديها لك وأنت نائم في بيتك" أو نحوًا من هذا الكلام، فلا نضيع الحسنات -بارك الله فيكم- كونوا عقلاء أيُها الإخوة، كونوا عقلاء، احرصوا على ما ينفعكم، والله ليست المباريات بنافعة لكم، وليست الأفلام ولا المسلسلات بنافعة لكم، فقد أرهقت أقوامًا وأضلت أقوامًا، هذه المباريات وتلك المسلسلات التي أصبح الناس يتهافتون عليها وينتظرونها

ويضيعون الحياة فيها أضلت كثيرًا من الناس، إذا كان الخليل قد قال في شأن الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾. فنقول مع الفارق بلا شك مع الفارق إن المباريات والمسلسلات أضلت كثيرًا من الناس حتى يقف بعض أساتذة الجامعات ويقول: إن فاز الفريق الفلاني سآتي لكم بالامتحان سهل، وإن دخل عليه شخص يلبس فانلة حمراء يعطيه الدرجة النهائية، أي غباء أشد من هذا الغباء أيُها الإخوة؟! أي جهل وأي حماقة أشد من تلك الحماقة؟! وهو يُفترَض أنه في عرف الناس أستاذ جامعة، لكن للأسف أستاذ تافه ذي عقلية تافهة إذا كام هذا حظه إذا كان هذا نصيبه.

أيُها الإخوة، كونوا عقلاء، وصية رسول الله للغلام عبد الله بن عباس آنذاك: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احْفَظِ اللهَ يحفظْك، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَك». يذكره بقوله: «احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ». فكونوا بوصية رسول الله عاملين، أيُها الإخوة الشهر أزف على الرحيل والانصرام والانصراف، وهكذا الدنيا كلها تؤذن بالانصرام والانصراف، ولقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾ [الروم: ٥٥-٥٦]. لقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

إخواني، كان معنا قومٌ يصلون معنا من أيام قليلة، ويجلسون مجالسنا، ويجلسون معنا من الفجر إلى أن تطلع الشمس، وفجأة وافتهم المنايا، وافاهم الأجل فقبضهم الله، ونحن لسنا من هؤلاء ببعيد فلنُحسن أعمالنا ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)﴾ [لقمان: ٣٤]. إخواني، هؤلاء الذين ماتوا تركوا أيتامًا فأحسنوا إلى الأيتام، وربكم يقول مذكرًا لكم: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا

مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)﴾ [النساء: ٩]. فقد تموت من غدك ويتيتم أولادك كما تيتم أولاد الأخرين، وكما تدين تدان، وجزاء الإحسان الإحسان، فالأب إذا كان صالحًا، قد تعالى في شأن الجدار الذي تكلف الخضر بناءه مع موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. فجدير بكم أن تعملوا الصالحات تبقى لكم في ذرياتكم، تبقى لكم في أبنائكم.

لقد قال سعيد بن المسيب -رَحِمَهُ اللهُ- لولده: «يا بني، لأَزِيدَنَّ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ». لها وجهان عند العلماء: لأزيدن في دعائي لك، فأنا أصلي وأدعو الله لك، أو لأزيدن في صلاتي حتى أدخل بذلك في عداد الصالحين، فإذا مت يخلفني الله فيك بخير، الله -سُبْحَانه- يكرمك بعد موتي «لأَزِيدَنَّ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ». فأحسنوا -بارك الله فيكم-، والذي لا يجد قدرة على مساعدة الفقراء، والأيتام، والضعفاء فليذكر غيره، وليحث غيره، وليحض غيره على ذلك، «والدَّالُّ على الخيرِ كفاعِلِه».

فذكر الناس، ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. فكونوا مباركين أيُها الإخوة على أهاليكم، وعلى بلادكم، وعلى أممكم، وعلى الفقراء، وعلى المساكين، إن النبي قال: «إِنَّ مِنْ الشَجرِ شَجرةً مَثَلُهَا مَثَلُ المُؤْمِنِ، ثم قالَ: هي النَّخْلَةُ». ذلك لأن النخل يُنتفع منها بكل جزء فيها، فالمؤمن كذلك نفاعًا للناس، إذا جلس مجلسًا نفع، إذا ذكر الناس نفع، إذا تكلم نفع، كلما نزل مكانًا ينفع الخلق، يرشد ضالًا، يعلم جاهلًا، يعطي محرومًا، يعطي مسكينًا، يستر على عبد، يصلح بين الناس، كن هكذا دائمًا كالنخلة يُنتفع بكل شيء منها، في كلماته نفع، في أفعاله نفع، في خطواته نفع، خطوت خطوات كي تنفع العباد، تكلمت بكلمات كي تنفع العباد، عملت بيديك كي تكتسب وتنفع العباد.

فكن نفاعًا للخلق مباركًا على الخلق، لا يجد الناس منك بذاءات، لا يجد الناس منك طعنًا فيهم، لا يجد الناس منك فضيحةً لهم، إنما إن وجدوا منك يجدوا سترًا على عيب، يجدوا سدًا لفقر، سدًا لحاجة، يجدوا كلمة طيبة، يجدوا تذكيرًا منك بالله -سُبْحَانه-، يجدوك معهم في جنائزهم، يجدوك عائدًا لمرضاهم، فكن مباركًا، وكن نفاعًا للخلق، لا تكن شؤمًا على أهلك، ولا شؤمًا على بلدك، ولا شؤمًا على جيرانك، كن مباركًا تحشر مع المباركين، تحشر مع السعداء.

أيُها الإخوة، دومًا التوفيق من الله والتوفيق بالله، فاستقيموا ولن تحصوا، واستعينوا بالغدوة والروحة وأوقات نشاطكم لعبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ربنا أوزعنا أن نشكر نعمك التي أنعمت علينا وعلى والدينا، وأن نعمل عملًا ترضاه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أصلح قلوبنا، وأصلح نوايانا، وأصلح أخلاقنا، وطيب أقوالنا، وأصلح ذرياتنا يا رب العالمين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم أعنا على العمل الصالح في حياتنا، غنمنا خيرها واكفنا شرها يا رب العالمين، غنمنا يا رب صالح الأعمال، وطيب الأقوال، وحسن الأخلاق يا رب، وصالح النوايا يا كريم، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد في أعلى جنة الخلد، اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع، وعلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمَع، نعوذ بك يا ربي من الجوع «فإِنَّهُ بئسَ الضَّجيعُ». نعوذ بك يا ربنا أن تضلنا «أنت الحَيُّ الذي لا يموت، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ». اصرف عنا الضلال يا رب، ثبتنا على الإيمان والإحسان يا رب، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم ألف بين قلوب المؤمنين، اللهم ألف بين قلوب المؤمنين، اللهم اهدهم سبل السلام، اللهم اهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

لا تنسوا الصلاة والسلام على البشير النذير محمد، لا تنسوا الصلاة والسلام على سيد ولد آدم سمعًا وطاعة وامتثالًا ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=PP٥ldpDa٥Ug&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٠٤

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share